بسم الله الرحمن الرحيم

جواب سؤال

انضمام السويد وفنلندا لحلف الناتو

السؤال: تقدمت فنلندا والسويد بطلب رسمي للانضمام إلى الناتو في ١٨ أيار/مايو ٢٠٢٢م، بمقر الحلف في بروكسل، بسبب الغزو الروسي لأوكرانيا، ولكن سرعان ما أعقب هذا الإعلان اعتراض تركي، بسبب موقف البلدين من قتال تركيا ضد الجماعات الكردية المسلحة وعلى رأسها حزب العمال الكردستاني (PKK) النشط في تركيا والمنطقة. ومن المعلوم أنه يجب أن يوافق جميع الأعضاء الثلاثين كشرط أساس لنيل العضوية، بما في ذلك تركيا، على انضمام البلدين إلى التحالف... فما وراء كل ذلك وما هي دوافعه؟

الجواب: لكي يتضح الجواب نستعرض الأمور التالية:

أولاً: مع انضمام فنلندا إلى الناتو، التي كانت سباقة باتخاذ القرار قبل أن تتجه إليه السويد أيضاً، فإن طول الحدود المشتركة لروسيا مع الدول الأعضاء في الحلف والتي يُنظر إليها حالياً على أنها "تحالف معاد"، سوف يتضاعف ليصل إلى ٢٦٠٠ كيلومتر. علماً بأن الحدود مع فنلندا تبلغ ١٣٠٠ كم، وبالمقارنة فإن طول الحدود الروسية المتنازع عليها مع أوكرانيا الذي شكل انضمامها المحتمل إلى الناتو أحد أبرز عناوين الحرب الحالية لا يزيد عن ٤٠٠ كم. وإذا انضمت السويد لاحقاً، رغم أنها لا تمتلك حدوداً مباشرة مع روسيا، فسوف يصبح من السهل على الناتو القيام بنشاطات أوسع وأكثر خطورة في بحر البلطيق. في هذه الحالة، ستصبح جميع الدول التي لديها منفذ لبحر البلطيق، باستثناء روسيا، أعضاء في الحلف، ما يعني إضعاف وجود روسيا الاستراتيجي في هذا الحوض مقابل تحوله تقريباً إلى بحيرة مسيطر عليها من جانب الحلف الغربي. ويعني انضمام السويد إلى الناتو نقل أراضي جزيرة غوتلاند السويدية إلى سيطرة الحلف. ومن ثم سيكون من الأصعب على روسيا العمل بنشاط في هذه المنطقة، وإجراء التدريبات والمناورات، أو حتى تعزيز قدرات الوجود الدائم في المنطقة. وهنا لا يمكن تجاهل أن السويد مثلاً، تمتلك خمس غواصات حديثة للغاية سوف تشكل إضافة نوعية لأساطيل بولندا وألمانيا، وتزيد من محاصرة أي تحركات عسكرية لروسيا في المنطقة.

ثانياً: ومن وجهة نظر عسكرية، فإن انضمام فنلندا والسويد إلى الحلف يضع الكرملين أمام خيارات معقدة وصعبة للغاية، وهذا لا يقتصر على البعد العسكري والاستراتيجي للتطور الأخطر من نوعه منذ الحرب الباردة، بل فوق ذلك فإنه على الصعيد السياسي، خاض الكرملين الحرب في أوكرانيا تحت شعار أساسي يتمثل في إبعاد خطر تمدد حلف الأطلسي شرقاً، وعدم تمكين الحلف من تعزيز نفوذه في أوكرانيا على مقربة من الحدود الروسية، فكيف إذن بعد انضمام فنلندا والسويد للحلف حالياً؟ إن ذلك سيكون واحداً من أخطر التداعيات السياسية لهذه الحرب، لأن الحلف عملياً سيكون على بعد ٢٠٠ كيلومتر فقط من حدود مدينة سان بطرسبورغ. وهذه تشكل ضربة سياسية قاسية لطموحات الرئيس فلاديمير بوتين، وتطرح أسئلة داخلية حول الجدوى من شن الحرب أصلاً على أوكرانيا من دون حساب تداعيات خطيرة من هذا النوع!

ثالثاً: إن انضمام فنلندا والسويد إلى حلف الناتو سيكون له تداعيات على المواجهة الغربية مع الصين. ومن المتوقع أن يتم تأكيد مهمة ردع النفوذ الصيني في استراتيجية الحلف لأول مرة في تاريخه خلال قمة الحلف في مدريد أواخر هذا الشهر حزيران/يونيو ٢٠٢٢، كما أن الناتو لا يُخفي طموحاته بتوسيع نطاق الحلف إلى خارج العالم الغربي، ووجَّه دعوات لحضور هذه الفعالية إلى وزراء خارجية كلٍّ من اليابان، وكوريا الجنوبية، وأستراليا، ونيوزيلندا... ومن هذه الزاوية يشكل الطلب الرسمي الذي قدمته فنلندا والسويد للانضمام للناتو انتصاراً سياسياً للرئيس جو بايدن، وفشلاً للرئيس بوتين، وخطراً على الرئيس الصيني شي جين بينغ.

رابعاً: تأسس حلف شمال الأطلسي بعد وقت قصير من نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو تحالف يضم ٣٠ دولة، وتعد تركيا القوة العسكرية الثانية فيه بعد الولايات المتحدة، وعندما تتقدم دولة جديدة بطلب الانضمام يتطلب الأمر موافقة أعضاء الحلف بالإجماع على دعوتها للانضمام، ومن هنا تنبع أهمية تحفظ تركيا على انضمام الدولتين الأوروبيتين... وقد ساندت تركيا توسع الحلف رسميا منذ انضمامها إلى التكتل قبل ٧٠ عاما. والآن يعارض أردوغان انضمام السويد وفنلندا إلى الناتو لأربعة أسباب هي:

١- محاولة أردوغان البقاء في السلطة وسط الانكماش الاقتصادي. فقد ارتفع معدل التضخم في تركيا إلى ثلاثة أرقام في ظل تراجع سعر الليرة، ما أدى إلى إغراق الاقتصاد المترنح بالفعل في أزمة أعمق. وهذا يطرح مشاكل للرئيس قبيل انتخابات ٢٠٢٣، وهو ما يجعل موقف أردوغان أضعف من أي وقت مضى، منذ وصوله إلى السلطة قبل نحو ٢٠ عاماً. فشعبيته في استطلاعات الرأي الأخيرة متراجعة، ولذلك فإنه بالضغط على الحلف بإظهار الممانعة في انضمام فنلندا والسويد يأمل تحقيق مساعدات اقتصادية وعسكرية من دول الحلف تحسن من وضعه الشعبي قبل الانتخابات...

٢- إن أردوغان يأمل في استغلال قضية عضوية السويد وفنلندا في حلف شمال الأطلسي كفرصة لتحقيق هدف لديه منذ فترة طويلة لتأسيس منطقة عازلة خالية من المقاتلين الأكراد على طول الحدود التركية مع سوريا. ومن خلال توسيع المناطق المحررة يمكن لتركيا إعادة توطين اللاجئين السوريين الذين يشكلون مشكلة في تركيا بحسب المعارضة. كما أن خطط العملية العسكرية تعكس اعتقاده بأن الغرب لن يعارض مثل هذه العمليات عندما يحتاج إلى دعم أنقرة لمساعي الدولتين الأوروبيتين الانضمام إلى الحلف. كما أن إعلان أردوغان يهدف إلى تعزيز الدعم من جانب القوميين في وقت يستعد فيه لانتخابات صعبة العام المقبل. وكانت العمليات العسكرية عبر الحدود قد عززت معدلات تأييده في الماضي. وتأتي خطوته في وقت تظهر فيه استطلاعات الرأي تراجع التأييد لأردوغان وحزبه الحاكم، حزب العدالة والتنمية، وسط مشكلات اقتصادية محتدمة.

٣- رغبة أردوغان في لقاء الرئيس الأمريكي، ففي نيسان/أبريل الماضي اشتكى أردوغان في تصريحات للصحفيين من أنه وبايدن لا يتمتعان بنوع العلاقة التي ربطته بالرئيسين السابقين دونالد ترامب وباراك أوباما. (قال أردوغان: "بالطبع، هناك بعض الاجتماعات من وقت لآخر، لكن كان ينبغي أن تكون أكثر تقدما". وأضاف: "أتمنى أن نتمكن من تحقيق ذلك في العملية التالية") (https://arabic.cnn.com ٢٠٢٢/٠٥/٢٤)، أي أن هذا الأمر ليس متعلقاً بالسويد وفنلندا، بل هي لحظة مناسبة يأمل منها أردوغان تسريع لقائه مع بايدن، الذي أبقي الزعيم التركي على مسافة منه.

٤- وقف الدعم الغربي للأكراد، وتسليم الغرب الأعضاءَ المنتمين لحركة "الخدمة"، فأردوغان ما زال يلاحق المنتمين لحركة الخدمة (أفادت صحيفة "زمان" التركية بأن السلطات أصدرت قرارات اعتقال بحق ٤٠ شخصا من بينهم موظفون وعسكريون مفصولون بتهمة "انتمائهم لحركة الخدمة"، التابعة للداعية فتح الله غولن. وأشارت الصحيفة إلى انطلاق حملة أمنية بالعديد من المدن مركزها إسطنبول وأنقرة، لاعتقال المطلوبين... المصدر زمان ٢٠٢٢/٦/١). وأما الدعم الغربي للأكراد، فعلى الرغم من تصنيف الاتحاد الأوروبي لحزب العمال الكردستاني منظمة إرهابية، فإن العديد من الدول الأوروبية قدموا دعماً تسليحياً لـ"وحدات حماية الشعب"، الذراع العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي، الذي تعتبره أنقرة الامتداد السوري لحزب العمال الكردستاني، ولذلك قابلته تركيا برفض شديد. كما تعترض أنقرة على استضافة بعض الدول الأوروبية مكاتب تمثيلية للتنظيمات الكردية، واستقبال أعضائها، والسماح لهم بتنظيم فعاليات سياسية على أراضيهم. ولم تستجب غالبية الدول الأوروبية لطلبات أنقرة بتسليمهم. وقد استحضر أردوغان هذه القضية عند حديثه عن اعتراض بلاده على انضمام فنلندا والسويد لحلف الناتو محاولاً استغلاله للتأثير في إزالة الدعم الغربي للأكراد أو تخفيضه، وكذلك تسليم المنتمين لحركة الخدمة.

خامساً: تجري محادثات مكثفة بين تركيا من جهة، والسويد وفنلندا والولايات المتحدة وأعضاء في حلف الناتو من جهة أخرى؛ في مسعى لتلبية بعض مطالب أنقرة، مقابل موافقتها على انضمام ستوكهولم وهلسنكي للحلف. (ففي ١٨ مايو ٢٠٢٢، أجرى متحدث الرئاسة التركية إبراهيم قالن، محادثات هاتفية مع مسؤولين كبار في كل من ألمانيا والسويد وفنلندا وبريطانيا والولايات المتحدة، تناولت مسألة عضوية السويد وفنلندا في الناتو... ٢٠٢٢/٠٥/٢٧ https://futureuae.com)، (وفي اليوم ذاته، عقد وزير الخارجية التركي، تشاووش أوغلو، مع نظيره الأمريكي، أنتوني بلينكن، الاجتماع الأول لـ"آلية الاستراتيجية التركية – الأمريكية"، في نيويورك، حيث تم بحث مسألة انضمام السويد وفنلندا للناتو... ٢٠٢٢/٠٥/١٨ https://mubasher.aljazeera.net)

سادساً: وعليه فإنه من المتوقع أن تتوصل تركيا لتسوية مع القوى الأوروبية والولايات المتحدة بشأن مسألة انضمام السويد وفنلندا لحلف الناتو، وليس من المرجح وفق المعطيات الحالية أن تتمادى أنقرة في اعتراضها وصولاً لعرقلة انضمام الدولتين للحلف بشكل كامل، بل من المتوقع في نهاية الأمر أن توافق وذلك بعد حصولها على بعض (الترضية) في النقاط الأربعة من بند رابعاً أعلاه، حتى وإن أخذ هذا وقتاً، فقد سبق ما يشبه ذلك... ففي عام ٢٠٠٩، احتجت تركيا على تعيين رئيس الوزراء الدنماركي السابق أندرس فوغ راسموسن رئيساً لحلف الناتو ولكن بعد مفاوضات أخذت وقتاً وافقت تركيا على تعيين راسموسن مقابل حصولها على مناصب (ترضية) داخل الهيكل السياسي والعسكري للتحالف.

الثاني من ذي القعدة ١٤٤٣هـ

٢٠٢٢/٦/١م